المتمردة وندماءها الفاسقين ، فسوف ننظر في حضورك لمجلس الملك ، ثم تقرأ قصائدك بعد أن نغض الطرف عن سرقاتك الصغيرة فيها ، ثم نجعل الملك ينفحك من مكارمه .

ضحك كعب مبتهجا ثم قال : حفظتك الآلهة يا صديق المساكين .

وفي هذه الأثناء لفت نظرهما ، رجل بثياب ملونة وجميلة ، بالقرب منهما وقد وقف على صخرة صغيرة يصيح : يا أهل كندة يا عصابة الأكابر ، أيها الرجال ، أيتها النساء ، أيها الوجهاء والنبلاء والشعراء ، أيها السفلة والمجانين ، نعلمكم أنه في دار الشاعرة الكندية الكبيرة خولة بنت ربيعة ستقام مساء الغد أمسية شعرية ومحاورة بين كبار ملوك وشعراء كندة ومنهم امرؤ القيس وزهير ابن أبي سلمى وطرفة بن العبد ، وسيتبارون في قصائد ضد الحروب وضد القتل ومفاسد الملوك .

وهنا ركض إليه مساعد الملك ، وتبعه بفضول الشاعر الصغير ابن الثعلب ، وقف عروة أمام الرجل المنادي ، يؤشر له أن يصمت ، لكن الرجل لم يفعل ، فضرب مساعد الملك الصخرة الصغيرة التي يقف عليها الرجل الملون بقدمه ، اختل توازن صاحب الإعلان ، فسقط أرضا ، ثم وقف ينفض ثيابه الجميلة ، وقد تملكه الذعر حيث يقف فوق رأسه مساعد الملك شاهرا سيفه .

قال خادم الملك للرجل الملون بصوت صارخ : لايحق لأحد

إقامة الأمسيات أو دعوة الأمة الكندية لمناسبة دون عِلم الملك ، هل فهمت ، أم أنك تحتاج إلى أن أقطع رأسك لكي تفهم ، ثم تركه ومضى ، فركض خلفه رجاله وأتباعه .

وفي الحال ذهب الشاعر المغمور ابن ثعلب إلى بيت الشاعرة الكبيرة خوله بنت ربيعة ، وادّعى البطولة أمامها ، فحكى لها كذبا ، كيف أنه هجا مساعد الملك أمام الجميع ، وزاد أن خادم الملك حاول بشتى الطرق أن يقنعه بتركها ويحضر مجلس الأعيان عند الملك لكنه رفض بشدة ، كان يريد مواصلة الادعاء ، لكنها كانت مشغولة عنه ، إذ وجد في مجلسها الكثير من الشعراء والشاعرات والمحبين والمحبات ، ينشدون الشعر ، فانضم لهم وأوجز في رواياته الكاذبة ، وظل يستمع إلى الكثير من القصائد الجديدة التي تدين هؤلاء الولاة الذين سقطوا في وحل الأحقاد والحروب في ما بينهم ، ما منح الفرس والروم فرصة غزوهم في كل وقت ، وفي آخر الليل دخلوا في جو الغناء ، حتى أشرقت شمس مملكة كندة فوق رؤوسهم الجميلة .

في هذه الأثناء كان الرجل صاحب إعلان الأمسية الشعرية ، وصاحب الثياب الملونة ، ينزف دمه من رقبته ، بعد أن ضربه أحدهم بسهم في ساحة كندة وهرب .

(٨)

وضعت الفيلسوفة والشاعرة النجدية الجاهلية خولة بنت ربيعة كأس الخمر على شرفة النافذه بعد أن وصلها خبر مقتل صديقها صاحب الثياب الملونة ، على يد أتباع الملك ، أطلت على الميدان فوجدت أن الحرب ، قد اندلعت ألسنتها الملتهبة ، بين أعوان الملك وحرسه من جهة ، وفقراء القوم أصدقاء المغدور من جهة أخرى ، من خلال شرارة قتل رجل مجهول من الحرس لصاحب الإعلان .

هنا بدأ العراك بين الموالين والمعارضين للملك الجاهلي ، وسرعان ما تطور بعد توافد الحشود من كل أنحاء كندة لمساعدة الطرفين ، في الساحه الكبرى وسط كندة .

في هذه اللحظة قالت خولة من شرفتها لرجالها : إن المصائب إذا جاءت فانها لا تأتي فرادى ، ولكن جماعات ، تأتي دفعة واحدة ، وهذا ما حدث للملك الحارث بن عمرو ، فعلى يد هذه الحادثة الخطيرة ، في الغدر والقتل لمواطن بريء ، سوف تكون نهايته .

وفي هذه اللحظة أيضـــا ، كـــان الملك الجـــاهلي يقـــول لمساعديه : هذا يومكم يا رجال ، اذهبوا الآن إلى مستودع السلاح وإلى الحظائر السرية ، خذوا أقوى السيوف وأقوى الخيول ، وازحفوا إلى ساحة الوغى بألف سيف .

قال كبير المساعدين : سمعا وطاعة يا مولاي ، سيكون كل شيء على ما يرام ياسيدي .

قال الملك : أنا سوف أذهب مع العائلة الكريمة إلى واحتي السرية ، حتى تنتهي هذه السخافات .

قال كبير المساعدين : صحبتكم السلامة يا مولاي .

وقيل إنه هرب مع أسرته نحو الرومان في الشمال .

وقال أحد الساخرين من الحداثيين إنه هرب للرياض واستأجر شقة في العليا .

عالم داوود أبو سليمان

خرجت من بيت داوود بعد السهرة التراثية منتشيا ومتحمسا ، وصلت البيت في لحظة حالمة ومثيرة للشجن ، عدت ومعي ملف أوراق من داوود ، سوف أتسلى بها ، قد تساعدني في اختبار محاولاتي النقدية المتواضعة ، وفي فكرة مشروع البحث عن السرد في التراث العربي .

في الملف نسخة من رواية (الملك الجاهلي يتقاعد) ، وأوراق لحكايات تراثية موجزة ومتفرقة عن الليلة الأولى من حكايات ألف ليلة وليلة ، وحكاية مقتل ملك العرب في الجاهلية ، وحكاية كتاب (ترجمان الأشواق) لإبن عربي ، أيضا فتشت من خلال المواقع الثقافية على النت واكتشفت عالما ثريا بالحكايات والأحداث .

عملت كأس شاي وبدأت في تجميع أهم القصص والحكايات التي سبق أن قرأها وذكرها لنا داوود ، وبدأت في متعة استعراضها والتعليق بأهم الملاحظات حولها ، من أجل محاولة دراستها .

كنت أتأمل في الأشياء المحيطة بي تلك اللحظة الممتعة ، أوراق ، كتابات ، أفكار ، تواريخ ، أحلام ، هموم ، كأنها أطلال متناثرة ، أو أجساد ضائعة ، مستسلمة ، داخت تحت ضربات قدر موجعة ، أطيل النظر فأرى فيها حياة جديدة تريد أن تنهض ، حياة جديدة بداخلها ألسنة نار لا أراها ، إنما أشعر بحرارتها تلفح وجهي ، كل شيء يريد أن يتحرك ، أو يموت ميتة أبدية ، هنا أحاول أن أفتح باب الخيال واسعا ، أو أقترب قليلا لأرى ألسنة النار قبل أن تستقر أو تخمد إلى الأبد .

بدأت في تقليب ملف الحكايات ، القراءة أولا ثم يتبعها تسجيل ملاحظات نقدية أولية بالقلم الرصاص ، وجدت أن أغلب الحكايات لها أكثر من مصدر وأكثر من طريقة في السرد ، مع فروقات ليست جوهرية ، اختلافات في طرائق الكتابة والعرض وليس في جوهر الحكاية ، وأغلب الحكايات مسرودة بطريقة مباشرة وبلغة سهلة ، وليس بلغة الشعر أو الإيحاء ، فيبدو أن الهدف إيصال جوهر الحكاية وليس الإبداع اللغوي أو الفكري في سرد الحكاية ، بينما لاحظت افتعالا في طرائق عرض بعض الحكايات ، وليس في الحكايات نفسها ، حيث تحاول بعض طرائق العرض تكلف لغة البلاغة أو القاموس ، لكن سوف آخذ أجزاء صغيرة من بعض الحكايات للقراءة والبحث كنماذج ، وأستعرضها مع الملك داوود أبو سليمان حين يعود إلينا من جديد .

الأسئلة كثيرة عن حكايات ألف ليلة وليلة ، أحاول إيجازها لمحاولة فهمها ، مثلا محاولة بعض النقاد تحليل حكايات من ألف ليلة وليلة في محاولة للاقتراب من لغز كتابة الليالي ، والإجابة عن أسئلة حول الشفهي والكتابي ، ومفهوم الراوي ومفهوم المؤلف واختلاط الواقع بالخيال والذكريات بالأحلام والتأمّلات ، لكنهم يؤكدون أنه لم يحظ السرد العربي القديم بالعناية الكافية من الباحثين العرب المعاصرين ، رغم الاتفاق على وجوده وتوفر نصوصه السردية المختلفة ، كالأخبار والنوادر والحكايات والأمثال والمسامرات وأنواع القصص المتقدمة ، كالمقامات وقصص الحيوان والقصص الخيالية والشعبية والرحلات والسير وسواها .

أمامي عدة حالات ، الحالة الأولى مع أشهر وأهم حكايات ألف ليلة وليلة ، حكاية التاجر مع الجني ، وهي الليلة الأولى ، قالت شهرزاد : بلغني أيها الملك السعيد ، أنه كان تاجر من التجار ، كثير المال والمعاملات في البلاد ، قد ركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد ، فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة خبز كانت معه وتمرة ، فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو أمام جني طويل القامة وبيده سيف ، فدنا من ذلك التاجر وقال له : قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي ، فقال له التاجر : كيف قتلت ولدك ، قال له : لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي

فقضي عليه ومات من ساعته ، فقال التاجر للجني : إعلم أيها الجني أني عليّ دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون ، فدعني أذهب إلى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود إليك ، ولك عليّ عهد وميثاق أني أعود إليك فتفعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل ، فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع إلى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق إلى أهلها ، وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا ، وكذلك جميع أهله ونسائه وأولاده ، وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت إبطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغماً عن أنفه فمشى إلى أن وصل إلى ذلك البستان .

هنا سجلت ملاحظتي بالقلم الرصاص حول هذه الحكاية من ألف ليلة وليلة ، التي تعتمد على الحوار بين التاجر والجني ، وعلى التشويق وعلى الحكمة والوفاء في نهاية الأمر ، لكن أهم الملاحظات تتمثل في حكم الجني على التاجر بالقتل ، حيث قال له : قم حتى أقتلك مثلما قتلت ابني ، وهو يعرف أن التاجر قتل ولده دون قصد .

الحكاية الثانية ، حكاية حي ابن يقظان ، حيث إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزا ، ومع ذلك فإن الرواية السائدة تقول إن حي بن يقظان قد ولد تولّداً جسدياً مألوفاً من أم هي شقيقة ملك إحدى الجزر الهندية ، ومن أب هو قريب لها اسمه يقظان ، كانت شقيقة الملك قد تزوجته خفية عن شقيقها الذي

منعها من الزواج ، وعندما وضعت المرأة طفلها خشيت من نقمة شقيقها الملك ، فوضعت الطفل في تابوت وألقته في البحر ، حملت الأمواج التابوت حتى ألقته على ساحل جزيرة مجاورة هي جزيرة الواقواق ، وصادف أن مرت في المكان الذي استقر فيه التابوت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته ، فسمعت صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه ، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته ، يكبر حي بن يقظان وتمر حياته في سبع مراحل .

في النهاية لاحظت أنها حكاية فلسفية عميقة عن اكتشاف الحياة واكتشاف الوجود ، وليست مجرد حكاية تقليدية للتسلية والحكمة مثلا .

الحكاية الثالثة التي أمامي ، عن كتاب ابن عربي (ترجمان الأشواق) ، وكتاب (صورة المحبوب في ترجمان الأشواق) لهنري كوربان ، ترجمة : فريد الزاهي ، وهي القصيدة الحكمية للعاشق الصوفي ، في مستهل الديوان الذي عنوانه (ابن عربي بـ'ترجمان الأشواق') يسرد ظروف تأليفه كما يلي : 'إني لما نزلت مكة سنة خمسمائة وثمان وتسعين (١٢٠١م) ، ألفيت بها جماعة من الفضلاء ، وعصابة من الأكابر الأدباء والصلحاء بين رجال ونساء ، يقول الشاعر : 'كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطفت على الرمل

فحضرتني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد :

ليت شعري هل دّروّا أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حذر أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخز ، فالتفت فإذا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجها ولا أعذب منطقا ولا أرق حاشية ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ولا أظرف محاورة منها ، قد فاقت أهل زمانها ظرفا وأدبا وجمالا ومعرفة .

فقالت له الفتاة : ياسيدي كيف قلت؟

فقال :

ليت شعري هل دروا
أي قلب ملكوا؟

فقالت : عجبا منك وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا ، أليس كل مملوك معروفا ، وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها والطريق لسان صدق ، فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا .

في تلك اللحظات يتجلى شعر الحب والهيام ويواكبه النقد الدقيق بلغة قصصية جميلة .

ثم أصل إلى الحكاية الرابعة ، قصة مقتل ملك العرب عمرو بن هند ، على يد عمرو بن كلثوم ، من كتاب (أيام العرب قبل الإسلام) ، كان ملك العرب عمرو بن هند شديد البأس مع غطرسة فهابته العرب ، وأشهر قصصه كانت مع عمرو بن كلثوم ، حين حدا به غروره وغطرسته يومًا إلى سؤال جلسائه : هل من أحد من العرب تأنف أمه أن تخدم أمي؟ فقالوا : نعم أم عمرو بن كلثوم أبوها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، فدعا الشاعر وأمه إلى وليمة فحاولت أم الملك استخدام أم عمرو بن كلثوم في حاجة لها تناولها إياها فأبت وقالت : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها فكررت عليها وألحت فاستغاثت أم الشاعر وسمع ابنها استغاثتها من الخباء المجاور ؛ فالتقط عمرو بن كلثوم سيفًا لابن هند معلقًا لم يكن ثمة سيف غيره ففلق رأسه به وأرداه قتيلا ، وقد تردد صدى هذه الحادثة في شعر الجاهليين ، كما أشار عمرو بن كلثوم نفسه إلى هذه الحادثة في معلقته الرائعة :

إذا ما الملك سام الناس خسفًا
أبينا أن نقر الخسف فينا
أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا
وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيْهَا

صَـــــــبَنْـت الـكَـأْسَ عَـنَّـا أُمَّ عَـــــــمْـــرٍو
وَكَـــانَ الكَأْسُ مَـــجْـــرَاهَا اليَـــمِـــيْـنَا

وهنا لاحظت أن انفعالات الجاهلية لأسباب تافهة في الغالب ، حيث يتقاتل الشعراء لأسباب يرون أنها تتعلق بالكرامة ، بينما لو تمت مراجعتها لأمكن بسهولة اعتبارها حادثة لا تستحق القتل إطلاقا ، ولو أن أم عمرو بن كلثوم أحضرت الصحن لأم عمرو بن هند ، وقالت لها : إن خادم القوم سيدهم ، لما انتهت الحكاية بمقتل أحدهم ، لكن ما يعنينا هنا هو الحكاية التي تتمتع بالإثارة والتشويق والقبلية الممقوتة التي لازالت تضرب أطنابها في جاهليتنا الجديدة .

أما الملف الخامس والأخير ، فهو عن الشيخ محمد بن عبد الجبار بن حسن النفري الملقب بالنفري ، ومن أشهر كتبه كتاب (المواقف والمخاطبات) ، من أشهر ما ذكر عنه أنَّه قال : كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة . لم يكن النفري يعلم أنه وبعد قرون من وفاته ستكون إحدى مكاشفاته في كتابه المعروف بالمواقف مدخلاً من مداخل الحداثة في الأدب وبخاصة الحداثة الشعرية ، فموقفه الذي يقول فيه كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة ، تكشف عن تراث غني بأشكال الإبداع ، وما كان الرجل يعرف أنّ هذه الجملة ستحقّق صيتاً واسعاً .

ومن أقواله :

سدَّ باب قلبك الذي يدخل منه سواي ، لأن قلبك بيتي .

يا عبدُ ، من صبر عن سواي أبصر نعمتي ، وإلا فلا .

الإنسان يسافر مع الأنفاس ، من نفس إلى نفس ، ومن دقة قلب إلى أخرى ، نحن في حالة سفر ، والكون كله في حالة سفر ، والسفر نوعان ، سفر في المكان ، وسفر في الذات .

ألاحظ العبارات العميقة في دلالاتها عند الشيخ النفري ، عبارات سابقة لعصرها فعلا ، فيها بلاغة ، فيها روح شاعرية وفيها عمق في المعاني والأفكار .

توقفت بعد تعب وإرهاق مع أجواء حكائية تراثية ممتعة ، وقد عزمت الأمر على أن يكون هذا الموضوع الممتع بحثا مكثفا عن السرد في التراث العربي ، لكن بعد الاستقرار ، وتجميع المصادر والأفكار ورسم مخطط البحث .

ثورات فنية صغيرة

الأيام الماضية كانت مرهقة ، أولا مع تركي لإعادة إصلاح مكتبة داوود ، ثم مع الحكايات التراثية لإعادة ترتيبها في ذهني تمهيدا لدراستها ، صحوت منتعشا ومبتهجا بما أنجزت ، آثار السهر تؤلم مفاصلي ، نهضت ، مشيت قليلاً في غرفتي أبحث عن الباب ، فلم أبصر غير الجدار ، اصطدمت بفتحة الباب الواسعة ، ثم نهضت بسرعة من هذه العثرة المباغتة ، فرأيت مثلما يرى النائم ، أني استحلت رجلاً آخر ، لا أعرف من أي المخابيء خرج لي هذا الآخر ، ورأيت قصيدة جديدة تتسرب من روحي ، ورأيت وقتاً أخضر يتشكل أمامي ، يخرج من تراتيله صوتاً جديداً وأحلام أخرى ، وشعرت أنني قبضت قبل نومي على عبارة أعجبتني ولا زالت ترن في رأسي بعمق وهي عبارة : شرارة الرغبة ، لكني ربما كنت أسمع شيئا من هذا القبيل ، شرارة الفتنة أو شرارة الرغبة ، دخلت الحمام وبصحبتي شرارة الرغبة ، وبدأت في تنظيف أسناني وأنا أتأمل وجهي في المرآة ،

ابتسمت للصورة التي أمامي وقلت في نفسي ، لقد بدأ المشروع فعلا ، سوف أكتب حكاية داوود أبو سليمان ، هذا المرح الاستثنائي سوف يدخل التاريخ حين يتم تحويل هذا النص إلى فيلم ، فهذا الملك الجاهلي الجديد يستحق أن يكون بطلا فعلا .

بدأت شرارة الرغبة في الكتابة ، بعد قراءة كتاب (ترجمان الأشواق) لإبن عربي ، بدأت أفكر جديا في الكتابة عن تاريخ العرب وآدابهم وقصصهم وأحداث حياتهم وعلمائهم وفلاسفتهم ، حلمت بذلك النص الأبيض ، الضوء ، يحملني كظله إلى زمن بعيد ، قلت سوف أكتبه ، ربما حنين قديم ، حنين صغير يختبيء في جسدي إلى دهشة أولى ، حين كنا نعارك لغة الكلام دهشة جديدة ، عندما تدخل هذه اللغة معركتنا مع الحياة ، ربما حنين مثل وشم قديم يريد أن يعبّر عن ذاته ، ربما حنين كامن كالليل في أعماق النهارات المتتالية أحمله ، يحملني نائما إلى زمن بعيد ، يقبع في ركن من ذاكرة صافية ، سوف أكتبه بياضا شفافا على الورقة ، أنثر حروفه المتقدة خيرا أو شرا ، أقرأها ، ثم أعيد كتابتها ، على جدار البيت ، لوحة ، تحلم بنص آخر ، نص يدق الباب مثل صوت مطر ، فإذا قمت له ، أفتح الباب ، أراه يمضي مثل عابر سبيل ، أو مثل قطط آخر الليل الحزينة ، نص أعرفه ويعرفني منذ زمن بعيد ، يأتي أحيانا مثل تيار هواء صغير يمسح وجهي ببرودة ، أو يأتي ناعما مثل موسيقى ، أو حدقة في جدار تطل على وقتي الجديد ، نص ،

لوحة ، برتقالة ، ضوء ، حلم ، صباح ، يفيق باكرا ، ثم يمضي سريعا ، والورقة صحراء واسعة لا أعرف كيف أدخلها .

في تلك اللحظة ، نفضت كل أوراقي القديمة ، قلت أريد أن أكون جديداً في كل شيء ، وبدأت أقرأ في أوراق وذكريات كُتبت منذ سنوات ، عن تفاصيل أبعد من ذاتي وأقرب لذاتنا جميعا ، كانت الكتابة أشبه ما تكون سردية ، وفي بعض الأحيان تتوقف عن هذا الخط الجاري ، لتكون أخباراً وأرقاماً ، ثم تعود إلى خطها السردي ، ولاحظت أنني أحياناً أقرأ ما يشبه القصص ، التي لا تتّبع أسلوباً واضحاً في الكتابة ، استمتعت بالقصص كثيراً ، إذ أعادتني إلى الكثير من التفاصيل الصغيرة التي بدأت أنساها .

قلت في نفسي ، أحتاج هذا المساء ، نجمتي المكسورة ، أتذكرها حين صحوت جائعاً وظمآن ، وفتحت القلب للهواء والنهار ، ثم حدّقت في تعرج خط من رأس الإبهام حتى الذراع ، فإذا نهر من ماء مغشوش ، أطلب كسرة من نجمة ساقطة تختلط اللعبة بأغنية بدوية عن ثورة جبل أفاقت على صوته مدينتان وشمس ، وكنت أحدّق في خط تعرج من رأس الإبهام حتى الذراع ، هكذا تسربت الحكاية في الرحلة التي قمت بها ، بالدوران حول صورة «فوتوغرافية» قديمة ، وعليها كتابات قديمة أيضاً ، قاربت ثلاث سنوات ، والآن بدأت الرحلة تستقر في مرحلتها الأخيرة بعد نزع الصورة من مكانها ، كنت

تائها ذات مساء ، في المنطقة الوسطى ما بين الرغبة في عمل كوب شاي مع قراءة بقية كتاب أو جريدة ، في هذه اللحظة توقفت ما بين السلم الدائري المؤدي للدور الثاني والمطبخ ، أمام هذه الصورة الملصقة على مرآة كبيرة معلقة على الحائط ، صورة بالأبيض والأسود يصل عمرها إلى ثلاثين عاماً ، صورة محايدة لكنها تحمل تاريخاً تضرب جذوره في الأعماق ، وقفت طويلاً أمامها ، ربما للمرة العاشرة أتوقف هكذا ، ليس حنينا ، لكن فقط لتأمل بعض ملامح الزمن الغابر ، محاولة للربط بين ما مضى وما نحن فيه وما يمكن رؤيته على المدى القريب ، رحلة طويلة قمت بها بالدوران حول هذه الصورة ، لكنها كانت ممتعة ولذيذة ، توقفت أمامها فنسيت كوب الشاي ونسيت الرغبة في النوم ، انتزعت الصورة من مكانها وأنا أرى خيوط عالمها تتسرب قطرة قطرة من ذاكرتي ، قلت أمنحها شيئا من الحياة ، أعطيها ألواناً جديدة وروحاً جديدة وذاكرة أخرى ، وضعتها أمامي ، لوّنتها ، لوّنت الوجوه والأيادي بالأصفر الفاتح ، ثم كتبت في الخلف هكذا تسربت الحكاية ، هكذا كنّا ، في زمن مضى وانقضى ، وهذا ما نحن فيه ، ثم تذكرت رحلتي الأخرى التي سجلتها ، في زمن مضى أيضاً ، تذكرت حين استلقيت وحيداً ذات مساء ، هناك حيث لا أحد ، أرحت جسدي وذهني المتعب ، أرحت كل شيء بالكامل ، أغمضت عينيَّ بهدوء ثم طردت كل شيء من رأسي ، ونزلت هناك

بعيداً ، خارج الزمان والمكان ، أتطامن وأنا أمضي في منطقة جديدة ، غادرت إلى متكئها الحالم فاستقبلتني بفرح ، وأمدتني بروح جديدة ، كنت أفكر بعد العودة بأشياء صغيرة ، أحياناً أمشي ، يأسا ، وعيناي على الأرض ، استرجع شريط حياتي القريبة ، وأخذت موقفاً من بعض الأشياء والممارسات ، بدأت أحاكم الرجل الذي كنته قبل هذا الضياع ، وكنت أتساءل : كيف تسنى لي أنا المغرور بذاتي أن أتجاهل أشياء مهمة ، كيف أضعت الوقت والفرص ، بدأت البحث في الكثير من الأفكار ، وإعادة تصوير الكثير من المواقف ، بدأت الأشياء والأفكار والصور واضحة وجلية أكثر من أي وقت مضى ، ورأيت كيف تتداخل الصور المتناقضة والصحيحة مع بعضها البعض ، وكيف في ظل الانشغالات نقبل بكل شيء ، كنت أرى عالمنا مثل جزر معزولة ، وأرى المسرحية بكامل فصولها .

كنت أعود إلى الطفل في داخلي ، وأشعر أن الوقت الفني بدأ يترك فيَّ أثراً من روحه ، مضمخاً برائحة جديدة ونفاذة لم آلفها بعد ، وكنت أحاول أن أتعايش مع هذه المتعة بسرية ووقار ، في حين تنفجر الذاكرة بلا إرادة فيَّ ، مبتعدة هناك إلى الطفولة القصوى ، وإلى تعرية الواقع الذي كان واقعاً ضخماً ومسيطراً بضبابه قبل هذا الموقف ، لكني بدأت أشعر بالمسئولية أكبر ، لأن الأسئلة والأفكار تأتي عشوائية على نحو مثير ، وفي

وسطها تبرز صور غير معقولة ، أحاول الاقتراب من هذه الحالة الغامضة التي أمر بها ، بدأت أرى وجوها قديمة أعرفها ، في عتمة خفيفة أمامي ، بدأت أشعر بدوار ثقيل أيضاً ، وأنا أتأمل وجوهاً اصطفت بجانب بعضها بتعابير مختلفة ، كل أصحاب هذه الوجوه ماتوا ، وكلهم الآن يبدأون في الحركة ، يتقدمهم وجه والدي الذي افتقدته كثيرا ، كان أكثرهم وضوحاً بشعر وجهه الأبيض ، تقدم أكثر ويده اليمنى أمامه حتى لامست خدي فصحوت من خدري اللذيذ ، وبقي بعض الدوار الذي سمح لي بتوديعه وداعاً يليق بحجم الفقد ، وفي كل وقت كانت تظهر وجوه متفرقة وتغيب ، نساء ورجال فقدتهم منذ أزمنة بعيدة ، في حوادث أو أمراض مختلفة ، وجوه تظهر ووجوه تغيب وأنا في حال جديدة ، أرى نفسي في وجه أبي ، أرى أسئلتنا وأحلامنا المعلقة ومتاعب وجوهنا جميعاً ، وكانت بين وقت واخر تطل علّي بوجهها الفاتن ، تطل من البعد وأنا مشغول بوجوه كثيرة حولي ، وكأنها تريد القول إنك دائما مشغول عني ، تطل من البعد فأشعر بتأنيب ضمير وندم وبكاء ، ثم في لحظات أخرى أشعر أنني أعيش حياة بائسة في عالم كبير الفوضى وكبير الآلام وكبير البؤس ، عالم لم أشارك في صنعه وليس لي في واقعه رأي ، الباب الكبير الذي أمامي يفضي إلى باب آخر ، والباب الثاني من بعده ، سوف يقوده إلى أبواب مفتوحة ، وممرات كثيرة مغلقة ، وأنا أقف هناك

بعيدا ، أرقب أناسا يدخلون الباب الكبير أو يخرجون منه ، أقف بعيدا أنتظر ، والناس يركضون هناك بلا هدف واضح ، يدخلون ويخرجون من أبواب كثيرة أخرى ، وبأيديهم أوراق كثيرة ، وأبواب كثيرة تنتظرهم ، أقف هناك والناس تدخل وتخرج من أبواب كثيرة تفضي إلى طرقات مغلقة ، أقف بعيدا وأتذكر أشياء كثيرة وأحلم بأشياء كثيرة ، كل الأبواب تفضي إلى أبواب أخرى ، كل الأبواب تفضي إلى طرقات مغلقة ، ليس هناك باب يأتي من فراغ ويذهب بك إلى فراغ ، ليس هناك باب يذهب بك إلى هناك ، حيث حياة أخرى مفتوحة الرحاب ، لكني أقف متوتراً أقرأ الماضي ، أقرأ وقوفي الأول أمام العالم والناس والأصوات والحياة ، والدروب المغلقة ، التي أحبطت روحي منذ الصغر ، أقف أمام كل باب مسحورا ومبهورا ، خائفا مترددا ومتلصصا ، أحاول تحريك قدمي ، لا أستطيع أن أتقدم خطوة واحدة ، أحاول أن أتكلم فلا أقوى على الكلام .

قلبك بيتي

بدأت أفكر جديا في الزواج ، بعد أن داهمت هدوء حياتنا أربعة أحداث قلبت كيان أوقاتنا الروتينية ، الحدث الأول غياب داوود التدريجي عنا واعتزاله بعد إصابته بحالة من الكآبة وتعاطية لأدوية مهدئة أفقدته الشهية للأكل ، وقضت على جسده تدريجيا ، وهنا تفرغت بعد التخرج في الجامعة لمكتبة داوود المغلقة ، وصرت أفتحها مرتين في اليوم وأحاول فيها التفرغ لإعداد بحثي عن السرد في التراث العربي ، الحدث الثاني اختفاء صديقنا صالح بدون سابق إنذار ، وهجرة والد ياسر وأسرته إلى الإمارات بعد تقاعده والسكن في أبوظبي ، بالإضافة إلى الحادث المروري الذي تعرض له سعود وهو متجه بسيارته إلى الدرعية ، وتعرضه لكسور في قدميه ألزمته البيت .

وفي ذات عصر كئيب بعد غياب الأصدقاء ، وحين تركت أختي في السوق القريب من المنزل ، مضيت أسير بهدوء على الرصيف الصغير المؤدي إلى موقف سيارتي ، كنت اتساءل

بحيرة وبحرية وبكآبة وملل ، أين سأذهب هذا المساء ، وكنت أفكر بزيارة داوود المريض أو أذهب للمكتبة ، حتى واجهت شابا في مثل عمري ومعه زوجته ، وبينهما طفلة كأنها تعلمت المشي والكلام قبل أيام ، قلت في نفسي وأنا أشعر بكآبة مفاجئة وثقيلة : يا الله ما أجمل هذا الفريق العائلي ، ثم خرجت من السوق ، ركبت سيارتي ، وضعت شريط أم كلثوم ، كانت تغني : (يا حبيبي كل شيء بقضاء) ، وجدت أن وقتي الممل قبل قليل ، تحول إلى رمادي قاتم ، وبدأت أتساءل عن أشياء كثيرة وغامضة ، تشبه غموض موقفي وحيرتي ، لكن حدّثت نفسي أن الأمور لن تستمر على هذه الحال ، الزمن يتحرك بسرعة للأمام وعلينا مجاراته والاستمتاع بوقتنا ، إنه الزمن الصعب الذي كلما تذكرته تذكرت نوبات الرعب الصغيرة التي تدهمني في أوقات غير متباعدة ، تدهمني مثلا حيث أتذكر في لحظة سريعة أنني ممكن أن أظل ، بلا بيت وبلا زوجة وبلا أطفال ، ثم تعود صورة الأصدقاء إلى ذهني بسرعة أيضا ، كأني أريد معرفة ماذا فعلوا في حياتهم ، لكن على الفور أواجه نفسي : هل تريد التأكد أنهم مثلك لم يفعلوا شيئا لكي ترتاح ، هل تريد الراحة حين تعرف أنهم كائنات مؤقتة مثلك ، لماذا لاتهتم بذاتك فقط وتترك هموم مراقبة الآخرين ، ارتحت لهذه المواجهة الصغيرة مع الذات ، حيث حررتني من الآخرين ، لكنني هكذا أخذت ما يشبه القرار بعد

دراسة قديمة ، اتصلت بنادية ، اعتذرت لها عن مطالبتي لها بالعلاج .

قلت لها : كنت أمزح ، وتأسفت عن تخريفاتي السابقة عن السياسة والدين والجنس والفراغ والإحباط السائد .

قلت لها : أريد الزواج منك هل توافقين؟

قالت لي وهي تضحك : نعم لكن أنا مريضة وأنت لا تعمل .

قلت لها : كلنا مرضى في سبيل الوطن ، وبخصوص العمل سوف أقبل المعروض عليّ وأمري إلى الله .

سألتني بجد : ما هو المعروض عليك؟

قلت لها : موظف في مكتبة خالي المريض .

تضحك أيضاً وتقول : ومع ذلك موافقة .

ثم تضيف وهي تضحك : ظل مثقف تعبان ولا ظل حيطة .

وقبل السفر ، كنت مع نادية بعد الزواج ، نسير بهدوء على الرصيف نفسه المؤدي للسوق نفسه ، الذي كنت أقطعه عازباً في العادة ، كنت أفكر وأنا أنظر في عيني نادية اللامعتين ، هل أنا سعيد أم لا ، أم أنني في المنطقة الوسط ، وفي هذه اللحظة ، واجهنا على الرصيف شاب يسير وحيداً ، وهو يحمل كل ملامحي أيام كنت عازباً ، قلت وكنت أتأمل هذا الوقت الحر لهذا الشاب : يا الله ما أروع حرية هذا الشاب ، إني أراها الآن

تطوق روحه وجسده ، وأكاد ألمسها بيديَّ الاثنتين ، وتذكرت فجأة أيام كنت عازباً ، حين قابلني ذلك الشاب وزوجته وبينهما طفلة جميلة ، كانت أغنية جديدة تصدح في رأسي ، وحين تجاوزنا الشاب الحر رحت أطرح أسئلتي الجديدة الغامضة غموض موقفي وحيرتي ، عن الزواج والمجتمع والسياسة والثورات والجنس والتطرف والإرهاب والفراغ والبطالة وسوء الأحوال المادية والإحباط والأحلام المكسورة ، الآن حالي تشبه حال أغنية قاتمة وحزينة وجميلة في الوقت نفسه .

وصلنا القاهرة أنا ونادية ، في وقت متأخر ، أخذنا التكسي إلى فندق شبرد التاريخي وسط القاهرة ، في الطريق إلى الفندق كانت نادية مبهورة بالقاهرة التي تسمع عنها كثيرا ، سألتني عن الجدول السياحي والأماكن التي سنزورها ، قلت لها : أولا نشتري الكتب التي نصح بها شيخنا داوود ، وأيضا كتب البحث عن السرد في التاريخ العربي من مكتبة مدبولي ، قالت نادية باستغراب : الناس يأخذون زوجاتهم إلى مطاعم على النيل وأنت تأخذني إلى مكتبة يا مريض ، قلت لها وأنا أضحك : أنت المريضة وعلاجك سيكون على يدي ، وصلنا الفندق ، سلمت الموظفة جوازي وجواز نادية ورقم حجز الفندق ، وبسرعة سلمونا مفتاح الغرفة ، دخلنا وفوجئنا بإطلالة جميلة على النيل ومراكبه وسفنه وضجيجه ، وقفنا في البلكونة نطل على العالم السينمائي تحتنا ، قالت : واو . . فيلم

على الطبيعة ، قلت لها : يبدو أن علاجك سيكون هنا ، قالت : وعلاجك أنت ، ضحكت وقبضت على وسطها بيدي الاثنتين ، حملتها وهي تضحك إلى الداخل ، وضعتها على السرير ، ذهبت إلى الثلاجة الصغيرة ، كنت أشعر بعطش قديم ، أخرجت زجاجتين صغيرتين ، فتحتهما ووضعتهما على الطاولة ، شربت دون توقف نصف الزجاجة ، ثم رميت جسدي المتعب على السرير ، احتضنتها وقبضت عليها ، ظللت هكذا لمدة ثلاث دقائق متواصلة ، توقفت وعدت للزجاجة ، ثم عدت لها وأكملنا المهمة اللذيذة ، وفي صباح اليوم التالي ، بدأنا في تنفيذ الجدول السياحي القصير ، لمدة خمس ليال ، كنا نقضي النهارات في جولات ممتعة على أهم معالم القاهرة وفنادقها المشهورة ، وفي الليل ننام مبكرين ، بعد تعب ساعات طويلة من المشي .

عدنا من القاهرة مصحوبين بذكريات لا تنسى ، بعد تعرفي على روح جديدة دخلت حياتي ، في البداية ، حدثت بيننا في أيام القاهرة الأولى ، صراعات قوية بلا سبب واضح ، على أشياء تافهة وأشياء مهمة ، لكن الأمور بيننا ، في النهاية ، هدأت بشكل متوازن ، لا غالب ولا مغلوب ، لكنه ربما الهدوء الذي يسبق العاصفة .

وصلنا الرياض وأخذنا السيارة من مواقف المطار وانطلقنا إلى مرابعنا ومرابع أهلنا ، أوصلت نادية إلى بيت أهلها ، قلت

لها وهي تنزل عند باب بيتهم : أحتاج اجازة يومين حتى أرتاح منك قليلا ، قالت : وأنا أيضا ، قلت لها عبارة النفري المشهورة التي قرأناها مع بعض في مصر : (أغلقي باب قلبك الذي يدخل منه سواي لأن قلبك بيتي) ، قالت وهي تضحك : حاضر يا أبا جهل ، دخلت بيتهم وأغلقت الباب ، وأنا مضيت إلى الشقة ، حالما ومنتشيا ومتعبا وقلقا ، كان الجو لازال باردا ، نحن في شهر أكتوبر ٢٠١٠ م ، قبل الثورة المصرية المشهورة بأشهر ، وأشعر أننا شممنا رائحة تلك الثورة العظيمة وهي مبثوثة في أجواء مصر ، دخلت الشقة وأدخلت الحقيبتين الصغيرتين ، أضأت النور وعلى الفور توجهت إلى الحمام ، أمضيت فيه وقتا أعالج داورا في الرأس وأراجع حياة مرت مثل شريط سينمائي ممتع ومقلق ومتوتر وسريع .

وضعت الفوطة على رأسي ، خرجت من الحمام ، فتحت الحقيبة ، أخرجت الملابس ، ثم أخرجت الكتب التي أحضرت من القاهرة ، فتحت الحقيبة الثانية وأخرجت أشياء نادية ، وضعتها في الدولاب ، وبدأت أقلب في هذه الكتب التراثية العجيبة ، كتاب (ترجمان الأشواق) لإبن عربي الذي دخل مكة في عام ٦٠٠ هجري ، وكتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لابن أياس ، وكتاب (أيام العرب في الجاهلية) ، وكتب عن شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي ، وكتاب (ألف ليلة وليلة) ، وكتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري ، قلت

في نفسي سأعود لهذه المتعة العجيبة لاحقا ، سأقرأ تاريخ العرب وستكون رواية ممتعة ، اتصلت بتركي ، سألته عن سارة وعن أحوال داوود والمكتبة ، قال : سارة بخير وداوود لازال خارج الخدمة للأسف والمكتبة ممتازة ، قلت له : نلتقي غدا في بيتكم نتسامر مع الملك داوود ، قال تركي : في انتظارك ، ودعته وأغلقت الجوال ، دخلت الغرفة ، ورميت جسدي على السرير بعد تعب ، قلت في نفسي : سوف تكون نومة جاهلية عظيمة إن شاء الله .

لحظات نقدية مختارة
حول رواية كائن مؤجل ٢٠٠٤ م

قضيت مع رواية (كائن مؤجل) وقتاً حافلاً مثيراً ، فيه شيء من السعادة ، وكثير من الألم ، واسترجعت ذكريات الرياض القرية الغافية الوادعة ، وتحولها السعيد الأليم إلى مدينة عملاقة من عدة ملايين . وضعت يدك في هذه الرواية على نبض الشوارع الخلفية ، ومن يسكنها من منسيّين وهامشيين ، على نحو ينتزع الإعجاب .

د . غازي القصيبي

ترجمت ادارة النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة رواية كائن مؤجل ، وصدر الكتاب عام ٢٠١٢م بعنوان :

Life on Hold

Modern novel which gives a rare insight into life inside Saudi Arabia

Oxford University Press

الرواية الحديثة التي تعطي نظرة نادرة في الحياة داخل العربية السعودية

جامعة اكسفورد

لكن ما تركته تلك التحولات من آثار مدمرة نفسيا على الفرد خاصة ، فتقوله لغة تعتمد التلميح والإشارة ، كما تستخدم كثافة الشعر وشفافيته ، ولعل هذا المستوى الثاني من اللغة ، الذي يحتل مساحة عريضة من الرواية ، هو ما يشير إلى طموح العتيق وسعيه الواضح ، إلى اقتراح سرديات روائية جديدة ، بقدر ما يصر على أن تغاير وتختلف عما دأب الروائيون السعوديون على تقديمه ، بالقدر نفسه تكمل ما سبق وأن أنتج في تجاربه القصصية القصيرة ، من مستوى حداثي في طرائق السرد واللغة .

أحمد زين

هذا فهد العتيق شاعر القصة السعودية الذي أمتعنا من قبل بإذعان صغير و أظافر صغيرة جداً ,يكتب لنا (كائن مؤجل) روايته الأولى ، وها هو عندما يغادر أرض القصة إلى الرواية كأنما هو يغادر ذاته البكر الأولى مصحوباً بمرارة واقع شديد الصخب والعنف ، وهكذا تكشف الرواية عن إمكانية جديدة من إمكانيات (فهد العتيق) ، إنه الكشف العميق لتاريخية الذات الفردية في حال اشتباكها العنيف مع الذات المجتمعية .

سيد الوكيل

ثمّة فرز يصفو مع الزمن ومع التجربة ، ينقل الرواية في السعودية من كونها مجرد شاهد ووثيقة إلى بناء محكم ، ممهور بصبغة الفن وحدها . تلك الميزة التي تجعل الرواية شاهدا فنيّاً يملك حقَّ المكوث في الضمير الثقافي والمسيرة الأدبية . وأحسب أن رواية فهد العتيق «كائن مؤجل» ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤ ـ من هذا الصنف .

عبد الله السفر

أعدت قراءة الرواية بعد قراءة مقال محمد العباس ,ربما هذه إحدى فوائد مثل هذه الكتابات ، الرواية تمثلنا كلنا كائنات مؤجلة ، لم يتحدث عن نفسه تحدث عن كل شاب سعودي ، الرواية مرهقة وموجعة تأخذك إلى البعيد ، وتغمسك في داخل نفسك ، كان رائعا بالفعل .

مشاعل الفايز

كائن مؤجل من الروايات القليلة التي تبتعد عن تلفيق الأحداث ، ولا شك أنها تستحق أكثر من قراءة ، عبر المقال كائن مؤجل بلا قيم شخصية ، لم أتطرق للجوانب الفنية ، إنما حاولت التماس بشكل الوعي الذي أنتجها ، أعني فهد العتيق ككائن مقيم خارج روايته ، متسللا إليها ، وسأواصل في تأمل أشكال أخرى من الوعي ، عندما يقرر فرد أو مجتمع ما أن

يروي نفـــسـه ، أظن من المهم أن نسـائل وعي الروائي وروح الرواية ، نعم ، تحدث عنا جميعا ، وبوعي مضاعف أحيانا ، وهنا تكمن فرادة السرد وإشكاليته في آن .

محمد العباس

كاتب محيط بأدواته ، لغته في القصة القصيرة وفي المقالة بها عذوبة تأتيها من حيث لا تعرف ، لم تتوسل لغة (فهد العتيق) في كائن مؤجل تلك البنايات الرخامية الضخمة والكوزموبوليتية والتخطيطات المسبقة ، يحكي فهد العتيق ببساطته الاعتيادية التي يعرفه بها كل أصدقاءه ، انني مدين للصديق المبهر البراءة ، الطاهر كصلاة ، بقراءة عميقة وثقيلة على رأي الموسيقيين .

جارالله الحميد

كائن مؤجل ، رواية لفهد العتيق . . عنوانها شقي ومفتوح ، فيه قلق وشاعرية تدفعنا للكتابة . . الكائن المؤجل ؛ دلالة على كائن غير فاعل على الأقل في الوقت الراهن ، وهذا ما كان ، فبطل الرواية يعيش اغترابا مزدوجا .

مليحة الشهاب